



## القيم من المنظور الغربي والإسلامي

### أبحاث تربوية

الدكتورة وليدة حدادي<sup>1</sup>

#### مقدمة:

تعتبر القيم من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، كما تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها، وباعتبارها قواعد ومعايير للسلوك الإنساني، فهي تساعد الفرد في الحكم على الأشياء من حيث المرغوب فيه والمرغوب عنه، اعتمادا على الإطار المرجعي للمجتمع الذي يتواجد فيه، كما تمثل ركنا أساسيا في تكوين شبكة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وتحدد طبيعة التفاعل بينهم، "حيث تحتل القيم جانبا رئيسيا من ثقافة أي مجتمع، بل يمكن أن نقول أنها تمثل لب الثقافة وجوهرها، وأن القيم يمكن أن تحدد وتنظم النشاط الاجتماعي لكافة أفراد المجتمع، وقد أوضحت الدراسات أن الجماعات التي تتكون على أساس تشابه القيم، يتفاعل أفرادها بدرجة أفضل من الجماعات التي تتكون دون اعتبار لنسق القيم لدى أعضائها<sup>2</sup>.

وتختلف دراسة موضوع القيم، من حيث مدلولها، ومصادرها، وتصنيفاتها، وخصائصها في الدراسات الغربية عنه في الدراسات ذات المرجعية الإسلامية، التي تتفق في استنادها إلى مرجعية واحدة هي الدين الإسلامي، في حين نجد اختلافا بين الباحثين في الفكر الغربي لاختلاف أصولهم الفكرية وانتماءاتهم الإيديولوجية.

كما تأخذ بعض المفاهيم والقيم في الفكر الإسلامي دلالات ومقاصد، تختلف تماما عن دلالاتها والمقصود بها في الفكر الغربي، فالتشريع الإسلامي يجعل من العدالة القيمة العليا في منظومة القيم على

<sup>1</sup> أستاذة محاضرة قسم "أ"، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد لين دباغين سطيف-2

<sup>2</sup> بشير معمري: التغير في ارتقاء القيم لدى مجموعات عمرية مختلفة من الجنسين، مجلة العلوم الإنسانية، مجلة علمية نصف سنوية، جامعة منتوري، قسنطينة، ع 15، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، جوان 2001، ص: 8.

المستوى الفردي، ويجعل التوحيد جوهر هذه القيم على المستوى الجماعي، في حين تجعل تقاليد الحضارة الغربية المبدأ الديمقراطي القيمة الجماعية العليا، والحرية والمساواة القيمة الفردية العليا.

ومن هذا المنطلق تسعى هذه الورقة البحثية إلى معرفة مدلولات مفهوم القيم في كل من

المنظورين الغربي والإسلامي، من خلال التعرف على:

- مفهوم القيم في اللغة وفي الدين الإسلامي.

- مصادر تكوين القيم في الفكر الغربي.

- مصادر تكوين القيم في الفكر الإسلامي.

- خصائص القيم في التصور الغربي.

- خصائص القيم في التصور الإسلامي.

### 1. مفهوم القيم في اللغة:

ذكر ابن منظور أن القيمة واحدة القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم تقاومه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه، ويقال كم قامت ناقتك أي كم بلغت.<sup>3</sup>

وجاء في المعجم الوسيط أن قيمة الشيء: قدره، وقيمة المتع: ثمنه وجمع القيمة: قيم. ويقال: مالي فلان قيمة: أي ماله ثبات ودوام على الأمر، وأمر قيم: أي مستقيم، وكتاب قيم: ذو قيمة. (القيمة) – الأمة القيمة: المستقيمة المعتدلة.<sup>4</sup> قال تعالى: "قل إني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً". (سورة الأنعام، الجزء الثامن: الآية 161). وقال تعالى: "وذلك دين القيمة". (سورة البينة، الجزء الثلاثون، الآية 5). أي مستقيماً أورد الراغب أن الدين القيم هو الثابت المقوم لأموال الناس ومعاشهم، وأمر قيم مستقيم، وخلق قيم حسن، ودين قيم مستقيم لا زيف فيه، وكتب قيمة مستقيمة تبين الحق من الباطل وتتفق هذه المعاني اللغوية الثلاث مع المدلول العام الذي تحمله مفردة "قيمة" فالقيم تتسم بالثبات، وفيها معاني الرعاية والصلاح والاستقامة.<sup>5</sup>

<sup>3</sup> ابن الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الجزء الثاني، (د.ت)، ص: 500.

<sup>4</sup> إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، دار المعارف، القاهرة، الجزء الثاني، 1973، ص: 774.

<sup>5</sup> ماجد زكي الجلال: تعلم القيم وتعليمها، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص: 941.

وفي المنجد ذكر أن القيمة جمع قيم، تعني الثمن الذي يعادل المتاع، القيم كل ذي قيمة، يقال "كتاب قيم" أي ذو قيمة.<sup>6</sup>

ومنه يتبين أن القيمة تحمل معاني الاستقامة والاعتدال، الثبات والدوام على الأمر. وفي اللغات الأجنبية (الفرنسية والانجليزية) (Valeur- Value) مشتقة من الفعل اللاتيني (Vale) والذي يعني أنا أقوى أو أنني بصحة جيدة، وهذا يعني أن القيمة تحتوي على معنى المقاومة والصلابة وعدم الخضوع للمؤثرات.<sup>7</sup>

## 2. مفهوم القيم في الدين الإسلامي:

تؤكد عمليات البحث والتنقيب في كتب التراث الإسلامي التي أمكن الاطلاع عليها أن مفكري الإسلام لم يستخدموا مصطلح "القيم" بالمعنى المتداول بين المفكرين الغربيين، وأن قراءة سريعة لمؤلفات علماء وفقهاء الإسلام تشير إلى أنهم بحثوا موضوع القيم تحت عناوين مختلفة ومتنوعة، تمس جميع الفضائل والسلوك الإيجابية منها والسلبية، من ذلك كتاب "الكبائر" للإمام الذهبي، وكتاب "مختصر الزواجر" عن اقتراف الكبائر للهيثمي، وكتاب "أيها الولد" للإمام الغزالي، وكتاب "تهذيب الأخلاق" لابن مسكويه، و"أدب الدين والدنيا" للماوردي، وغيرها كثير مما يتناول مختلف الفضائل والمساوئ مما يحتاج المسلم إلى معرفته، ومن ثم يمكن اعتبار قضية القيم من القضايا الجديدة التي دخلت التصور الإسلامي فقد عكف المفكرون المسلمون المعاصرون على دراسة موضوع القيم وإعطائها مدلولاً يختلف تماماً عما هو عليه في الدراسات الغربية، وذلك من خلال دراسة القيم في إطار من المرجعية الإسلامية، وإذا ما نحن استعرضنا مختلف التعاريف التي تعرضت لمصطلح القيم بالدراسة فإننا لا نجد فيها ذلك التباين والتضارب والغموض والتعقيد الذي يكتنف مدلولها في الفكر الغربي لاختلاف الباحثين الغربيين في الأصول الفكرية والانتماء الإيديولوجي.<sup>8</sup>

تستند كل التعاريف التي تناولت مفهوم القيم في التصور الإسلامي إلى مرجعية واحدة ألا وهي الدين الإسلامي، حيث يرون أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مصدران أساسيان للقيم، فكتاب

<sup>6</sup>. يوسف المعلوف وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط 27، 1984، ص: 664.

<sup>7</sup>. سعود هلال الحربي: التربية والقيم السياسية، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط 1، 2002، ص: 27.

<sup>8</sup>. زكية منزل غرابية: القيم الثقافية في الدراما المقدمة في قناة اقرأ وأثرها على الشباب الجامعي (دراسة تحليلية و ميدانية)، رسالة دكتوراه غير منشورة في الإعلام الإسلامي، إشراف: بوعلي نصير، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009-2010، ص: 13.

الله سبحانه وتعالى هو الفيصل في الحكم على الحسن والقيبح، الخير والشر، الحلال والحرام.<sup>9</sup> على خلاف ذلك يعرف الفكر الغربي تباينا وجدلا كبيرا فنجد أن البعض يرى أن مصدر القيم هو السماء، في حين يراها البعض الآخر في العقل والخبرات الإنسانية والذين يرونها معزولة عن السماء يختلفون هل هي من صنع الفرد أو من صنع المجتمع.

وتعرف القيم في الدين الإسلامي على أنها "مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة".<sup>10</sup>

كما تعرف بأنها: "مبادئ تحث على الفضيلة وموجهات للسلوك الإنساني لصالح مجتمعه وتستمد أصولها بالأمر والنهي من القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم".<sup>11</sup>

ويعرفها آخرون بأنها: "المفاهيم، والمعاني التي يولد الإنسان عليها ولادة ربانية".<sup>12</sup> ويراها مساعد بن عبد الله المحيا بأنها: "الأحكام التي يصدرها المرء على الأشياء سواء المادية أو المعنوية من حيث الاستحسان أو الاستهجان والتي يستقيها من مصادر التشريع الإسلامي والتي يوجه الإسلام بها المؤمنين به والمدعنين إليه إلى ما فيه صلاح أمرهم وأحوالهم في معاشهم ومعادهم".<sup>13</sup>

كما يراد بها المبادئ السليمة ومجموعات الفضائل التي هي وليدة الدين الصحيح لتوجيه سلوك الإنسان، وهي ثابتة موحدة تنبع من العقيدة وترقى في ضمير المؤمن إلى مستوى الإيمان.<sup>14</sup>

وتعرف القيم أيضا بأنها "ثوابت اعتقادية وسلوكية مصدرها الوحي الإلهي الذي أخبر عن وجودها وحكم ضرورتها، وتستمد القيم مصدر إلزامها بما يترتب على عدم الالتزام من الجزاء الآخروي، وهكذا يحسم القرآن الكريم في شأن السلوك الإنساني على أساس تلك القيم. وقيم الإسلام في العقيدة

<sup>9</sup> جابر قميحة: المدخل إلى القيم الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1984، ص: 198.

<sup>10</sup> نفس المرجع، ص: 41.

<sup>11</sup> سعود هلال الحربي: المرجع السابق، ص: 49.

<sup>12</sup> طه ياسين الخطيب: القيم التربوية في موعظة لقمان لابنه، مجلة العلوم التربوية والنفسية، مجلة علمية محكمة فصلية، مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع، مملكة البحرين، المجلد 4، العدد 1، مارس 2003، ص: 129.

<sup>13</sup> مساعد بن عبد الله المحيا: المرجع السابق، ص: 80.

<sup>14</sup> وضحة السويدي: تنمية القيم الخاصة بمادة التربية الإسلامية لدى تلميذات المرحلة الإعدادية بدولة قطر (برنامج مقترح)، دار الثقافة، قطر، ط1، 1989، ص: 72.

والشريعة والأخلاق قيم متكاملة تتوحد ضمن منظور معرفي واعتقادي وأخلاقي لا يقبل التفكيك والتجزئة والانتقاء.<sup>15</sup>

### 3. مصادر تكوين القيم :

يعتبر موضوع القيم من حيث وجودها، وأنها معايير يقاس عليها السلوك الإنساني، ومحدد واضح يضبط العلاقات الاجتماعية المختلفة، موضع اتفاق بين الباحثين والمفكرين، إلا أنهم في الفكر الغربي يختلفون في تحديد مصادر تكوين القيم، باختلاف المجال المعرفي الذي يعمل في إطاره كل باحث. على خلاف ذلك في الفكر الإسلامي، حيث تستمد القيم من الدين الإسلامي ممثلاً في مصادره المعتمدة (القرآن الكريم- السنة- الإجماع...)، مما يجعلها معايير ثابتة غير قابلة للاستبدال.

### 4. مصادر تكوين القيم في الفكر الغربي:

1.4 الإنسان: تقوم وجهة النظر هذه على اعتبار أن الإنسان هو مصدر القيم والمنشئ الوحيد لها، وما القيم إلا ترجمة للمشاعر الفردية الشخصية في كل فرد، والملكة الفردية في وسعها تصور الأمور وإدراك المثل العليا، وبناءاً على ذلك فإن قيم الأشياء تتعلق بتقديرها بالمثل العليا المدركة من قبل الأفراد.<sup>16</sup> وهذا يعني أن هؤلاء يفترضون أن القيمة تعتمد على الاختيار الحر، والرغبة الذاتية للأفراد، وهنا ينتفي معنى الالتزام، فلا معيار ولا قيمة إلا لما تحكم به الرغبة، ويبعث عليها ميدان اللذة والألم، وهذا من شأنه أن يلقي بالقيم عرضة للتغير، فتفقد المسؤولية معناها وتحتجب المثل العليا.<sup>17</sup>

2.4 المجتمع: يرى أصحاب هذا الرأي أن المجتمع هو الذي يضيف على الشيء قيمته، فالذات هنا ذات جمعية لا ذات فردية، وهذا الاتجاه يحقق تقديراً موضوعياً لأن التقدير أصبح تقديراً جمعياً... فالأفراد وهم بصدد الأحكام الاجتماعية، إنما يجدون أمامهم نوعاً خاصاً من التقويم، وهو سلم من القيم يقوم على نحو معين، ويعلو بالتجربة على التقديرات الشخصية المتغيرة للأفراد، فالأفراد يجدون أنفسهم إزاء جدول للقيم على نحو مقرر تماماً وفق وضع خارجي بالنسبة لهم. فهو ليس من حقهم فرادى، ولا هو تجربة عن المشاعر الفردية الشخصية الخاصة بكل فرد منهم، فالأفراد لا يملكون إلا أن يلاءموا أحكامهم وفق هذا

<sup>15</sup> إدريس العلوي العبدلاوي: مفهوم القيم في الإسلام ومدى اعتمادها كمصدر من مصادر التشريع، مجلة الأكاديمية، سلسلة الدورات، الدورة الربيعية لسنة 2001 ( أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر)، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 2002، ص: 218.

<sup>16</sup> سعيد مبارك آل زعير: المرجع السابق، ص: 105.

<sup>17</sup> محمد أحمد بيبومي: المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص: 37.

الجدول.<sup>18</sup> فالقيم حسب هؤلاء إنما هي من نتاج المجتمع والخبرات، التي تكون بين أفرادها، تنشأ من تفاعل واحتكاك الأفراد بعضهم ببعض، وعليه فالمعايير التي يضعها المجتمع هي التي تحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه على المستوى الشخصي والاجتماعي.

**3.4 القانون الطبيعي:** على خلاف الاتجاهين السابقين، يرى أصحاب هذا الرأي أن القانون الطبيعي هو مصدر القيم الذي يتماشى مع طبيعة الأشياء ويتفق مع العقل، بمعنى أن القيم موجودة في واقعنا المعيش، كما هي موجودة في كل لحظة من لحظات السلوك الإنساني، ويمكن للعقل البشري أن يدرك طبيعتها، "فالحق حق، والعدل عدل، لأن الحياة لا تستقيم إلا بهما، والحلو حلو، بصرف النظر عن ذي الفم المريض الذي يجد مرا به الماء الزلال".<sup>19</sup>

**4.4 التعاليم الدينية (السلطة الإلهية):** يرى أصحاب هذا الاتجاه أن مصدر القيم ليس المجتمع ولا الأفراد، وإنما الدين، ومن هؤلاء "بارسونز" (Parsons) و"ويبر" (M.Weber)، اللذين أرجعا تطور الرأسمالية في البلدان الغربية إلى بعض القيم البروتستانتية، وأكدوا على أن القيم الدينية تمارس نوعاً من التأثير المستقل على مجرى التغيير الاجتماعي، وأوضحوا أن كل نسق قيمي للدين أو الأخلاق، لا يمكن أن يستمد أصوله وجذوره من اعتبارات اقتصادية أو سيكولوجية، وإنما يستمد تلك الجذور من مصادر دينية بحتة.<sup>20</sup> كما عبر عن وجهة النظر هذه كل من "K.Davis" و"W.Moore" بقولهما: "لعل سبب ضرورة الدين واضحاً في حقيقة أن المجتمع الإنساني تحقق وحدته أساساً، من خلال اقتناء أعضائه لبعض القيم المطلقة والغايات العامة. وبالرغم من أن هذه القيم المطلقة والغايات ذاتية، إلا أنها تؤثر في السلوك، وتكاملها يساعد المجتمع على الاستمرار كنسق، فعن طريق الاعتقاد والشعائر تتصل الغايات العامة والقيم بعالم تخيلي يرمز إليه بالموضوعات المقدسة الثابتة، وهذا العالم بدوره يتصل بطريقة معقولة بالحقائق والتجارب الخاصة بحياة الفرد، ومن خلال الدين يمكنه ممارسة نوعاً قوياً من الضبط على السلوك الإنساني، والذي يوجه في نفس الاتجاهات المدعمة للبناء النظامي، ويمثل للغايات والقيم المطلقة".<sup>21</sup>

<sup>18</sup> محمد أحمد محمد بيومي: علم اجتماع القيم، 2002، ص: 25.

<sup>19</sup> زكية منزل غرابية: المرجع السابق، ص: 82.

<sup>20</sup> السعيد بومعيزة: المرجع السابق، ص: 143.

<sup>21</sup> محمد أحمد محمد بيومي: المرجع السابق، ص: 131.

## 5. مصادر تكوين القيم في الفكر الإسلامي:

يتفق الباحثون في الفكر الإسلامي على أن مصدر القيم في الإسلام هو الدين الإسلامي، بما يحمله من قواعد ومبادئ وخصائص عامة، صالحة لهداية البشر في كل زمان ومكان، مستندا على القرآن الكريم والسنة النبوية، وما تفرع عنهما من مصادر التشريع الإسلامي في تحديد علاقة الإنسان وتوجهه إجمالا وتفصيلا مع الله تعالى، ومع نفسه، ومع الآخرين من البشر.

كما أن الإسلام كنسق قيمي موحد وشامل ومتكامل، يحكم كل جوانب الحياة الاجتماعية، والفيصل في الحكم على الحسن والقبيح، الخير والشر، الحلال والحرام. لذلك لا يمكن اعتبار القيم التي مصدرها الفرد أو المجتمع أو العقل، والتي ليست لها صلة بالوحي الإلهي قيما أصيلة لها السلطة في تحديد المرغوب والمرغوب عنه من السلوكات مهما تعارف عليها المجتمع. " فالأفراد في المجتمع الإسلامي حينما يصدرن أحكامهم التقويمية، لا يصدرنها في ضوء الأحكام التي تعارف عليها أفراد المجتمع أو ما يقره العقل وغيره، إنما يصدرنها في ضوء ما يقره الشارع الحكيم، أي أن كل نشاطات الإنسان سواء على المستوى الشخصي أو الاجتماعي ينبغي أن تعكس قيم الإسلام"<sup>22</sup>.

ويؤكد الأستاذ عبد المجيد بن مسعود ذلك، بقوله: " أن المصدر الذي نستقي منه القيم التي يقوم عليها النظام التربوي الإسلامي هو الوحي الإلهي، إذ العقل الذي تستند إليه المذاهب الوضعية في ذلك ليس مبرأ من الهوى، فضلا عن كونه محدود الأفاق في علمه بحقيقة الإنسان والحياة"<sup>23</sup>.

ولذلك تتصف النظرة الإسلامية للقيم بالكمال، لأن مصدرها هو الله عز وجل، الذي يعلم خبايا الإنسان، والكون وسننه، التي يتحرك الإنسان في إطارها، قال تعالى: " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ". (سورة الملك. الآية: 14).<sup>24</sup> فهي إذن قيم ربانية معصومة، وليست بشرية يعترها النقص والخطأ والتغير، وترتبط بهوى واضعه وميوله.

<sup>22</sup>. محمد أحمد بيومي: علم اجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1981، ص: 184.

<sup>23</sup>. عبد المجيد بن مسعود: القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، العدد 67، ط1، ديسمبر 1998، ص: 169.

<sup>24</sup>. نفس المرجع، ص: 64-65.

فقبل ظهور الإسلام كان للمجتمع الجاهلي قيمه الخاصة، فمنها القيم الإيجابية، ومنها القيم السلبية، ثم جاء الإسلام في القرن السابع ميلادي، وكان له ثلاثة مواقف من تلك القيم رصدها "قميحة جابر" كما يأتي:<sup>25</sup>

- الموقف الأول هو التحريم: فقد حرم الإسلام شرور المجتمع الجاهلي وموبقاته، فحرم الشرك بالله، ودعا إلى عبادة الله الواحد الأحد، وحرم الظلم، ووأد البنات، والعدوان، والخمر، والميسر، والأزلام.

- الموقف الثاني هو الإقرار: حيث أقر البقية الباقية من الفضائل في المجتمع الجاهلي كالكرم، والشجاعة والنجدة.

- الموقف الثالث هو التسامي أو الإعلاء: أي الإبقاء على المنبع القيمي مع تحويل مساره من الانحراف الخلقي إلى الوجهة الصحيحة، باستغلال الطاقة الشعرية مثلاً في الدفاع عن الدين والإشادة بمكارم الأخلاق، والتحول بالغضب والعدوان وحب القتال إلى الجهاد، حرصاً على نشر الدين وإعلاء كلمة الله.

ويشمل الدين الإسلامي المصادر الأساسية للقيم، كما يأتي:

### 1.5 القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم المصدر الأول للقيم الإسلامية، حيث تتشكل هذه القيم من مجموع آياته الخاصة بالأحكام والعبادات والمعاملات. أنزله الله تعالى منهاجاً شاملاً لجميع أوجه النشاط الإنساني في كل المجالات، يتميز بالثبات وعدم التغيير من حيث الكليات والأصول مهما طرأ على المجتمع من تغييرات، وقد أقام الرسول عليه الصلاة والسلام على أساس مبادئه وقيمه مجتمعا تقرر في أول مرة في تاريخ البشرية كرامة الإنسان، وأنشأ به حضارة ملأت الدنيا بالهدى والنور، وكون به أمة كانت خير أمة أخرجت للناس.

تناول القرآن الكريم طبيعة النفس البشرية، وما فيها من جوانب ومكونات أرادها أن تسعى للخير، وتبتعد عن الشر، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر تؤمن بالله الواحد الأحد، وتسعى إلى تهذيب الأخلاق وتقويم السلوك وضبطه وحسن التصرف، وإتقان العمل والإخلاص فيه، والتعاون مع الجماعة، والاهتمام بالنفس، والاعتدال، والاستمتاع بالحلال بما وهبه الله لعباده.<sup>26</sup> وبذلك يقرر الإسلام مجموعة من القيم والمثل العليا، التي تقوم عليها علاقات الشعوب أفراداً وجماعات.

<sup>25</sup>. قميحة جابر: المدخل إلى القيم الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1984، ص: 152.

<sup>26</sup>. علي حسين الدوري: أثر الفضائيات على القيم التربوية والثقافية العربية الإسلامية، منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، بحوث أوراق عمل الملتقى العربي الأول (أثر الفضائيات على الأسرة العربية)، مصر، 2007، ص: 26.

ويؤكد "السماطوي" أن القرآن الكريم يستخدم أسلوب الثواب والعقاب، الذي يتفق مع الفطرة الإنسانية، والذي ثبتت صلاحيته في كل زمان ومكان، في حث المؤمنين على فعل الخير، والتمسك بمبادئ الشريعة الإسلامية، واجتناب الكبائر والفواحش والرذائل، وكل ما يقرب إلى النار، فلا يمكن تحقيق القيم المرجوة ما لم يعرف الإنسان أن هناك نتائج سارة، أو مؤلمة وراء عمله وسلوكه، فإن عمل خيرا جوزي به، وإن عمل غير ذلك فسيلقى العقاب، ومن هنا يظهر أثر هذا الأسلوب، فهو وسيلة لتحقيق القيم، التي ينشدها الإسلام في إلزام الأفراد بها، ولذا فهي تعين على تحقيق القيم كلها، وجدانية كانت أو أخلاقية أو اجتماعية.<sup>27</sup>

ويمكن عرض هذا النسق القيمي انطلاقاً من التقسيمات، التي أوردها الباحثون على النحو الآتي:

- القيم الروحية (العقيدية): وتتضمن أصول الإسلام وقواعده (الإيمان بالله وكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر).

- القيم الأخلاقية: وهي تلك التي تتضمن الفضائل، التي يجب على المسلم أن يستظل برايتها، والرذائل التي عليه أن يقلع عنها.

- القيم العملية: وتعلق بتصرفات الإنسان المكلف من قول أو فعل، وهي على نوعين:

أ- قيم العبادة: وهي التي تنظم علاقة الإنسان بربه.

ب- قيم المعاملات: وهي التي تنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في جميع شؤون الحياة.

- القيم الجمالية: وهي التي تدعو إلى تدبر ملكوت الله، وإمتاع النظر بإبداع الخالق تعالى، والاستمتاع بطيبات الحياة.

وتتصدر القيم الروحية مختلف القيم الإسلامية، لأن من هذه القيم تنبع بقية قيم المسلم في حياته، وتنطلق من هذا المنطلق، فقد اتفق مفكرو الإسلام على قيام القيم الأخلاقية على أساس الإيمان بالله. ويؤكد ذلك الدكتور "سيد أحمد" في قوله: "إن القيم الوجدانية هي منبع القيم الأخلاقية"<sup>28</sup>، لأن العقيدة هي الموجه الأساس لسلوك الفرد، حيث تتحول إلى موجهات قيمية تترجم إلى واقع سلوكي،

<sup>27</sup> طه ياسين ناصر الخطيب: المرجع السابق، ص: 138.

<sup>28</sup> سيد أحمد طهطاوي: القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ص: 64.

فالمعتقدات هي التي تحكم، وتصبغ، وتحدد القيم، وهذه الأخيرة هي التي تحدد مسارات السلوك وتضبطه، وتحكمه، وتوجهه<sup>29</sup>.

كما أن الإيمان بالواحد الأحد يجعل البشر - بما يحدثه في النفوس من حرية الإرادة، وشمول الرقابة، ونية الاستقامة- خير الناس للناس، ويدفعهم إلى أن يكونوا منسجمين، متآلفين، متعاونين على توجيه ما يحصلون عليه من تعمير إيجابي إلى خدمة الفرد والمجتمع.<sup>30</sup>

## 2.5 السنة النبوية:

تعتبر السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، كما نص القرآن الكريم على ذلك. قال تعالى: "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب". (سورة الحشر. الآية: 7). والسنة النبوية هي "ما يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير".<sup>31</sup> وكما حظي القرآن الكريم باهتمام المسلمين، كذلك لقيت السنة النبوية من العناية ما حفظها من العبث، فقد اشتغل العلماء على تجميع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه وتدوينه، وكان من أهم المصنفات، التي ضمت حديث الرسول صلى الله عليه وسلم كتب الصحاح الست، وهي موطأ الإمام مالك، الجامع الصحيح للإمام البخاري، وصحيح مسلم، والسنن للترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة، وهي بهذا تعد المرجع الأساسي لمن أراد أن يستقي منظومة القيم، التي تجسدها سنة النبي، ولكونها المصدر الثاني للتشريع، ومن ثم استنباط القيم، فهي "مثله في وجوب الإتيان وعدم المخالفة". وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يوكل الله إلى نبيه الكريم مهمة البلاغ، فكان يبين ما في القرآن من إجمال ويخصص ما يحتاج إلى تخصيص، ويقيد ما يحتاج إلى تقييد، وقد يأتي بأحكام لم يتعرض لها من قبل القرآن الكريم. لذلك فكل قيمة يمكن أن تستقى من حكم أصدره النبي صلى الله عليه وسلم في صيغة أمر أو نهي، أصبحت تعبيراً عن الإرادة الإلهية، ووجب الانقياد لها دون مناقشة، على شرط أن ترتدي القيمة صفة الوحي صراحة أو ضمناً.<sup>32</sup>

وقد تجسد القرآن الكريم سلوكاً وعبادة وقيادة ومعاملة في شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي حياته كلها. لذلك أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين أن يقتدوا بالرسول صلى الله عليه وسلم في

<sup>29</sup>. طه ياسين ناصر الخطيب: المرجع السابق، ص: 135.

<sup>30</sup>. محمد التومي: المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص: 39.

<sup>31</sup>. عبد الكريم زيدان: مجموعة بحوث فقهية، مكتبة القدس، بغداد، 1986، ص: 22.

<sup>32</sup>. زكية منزل غرابية: المرجع السابق، ص: 89.

طيب شمائله، وكريم أخلاقه، فقال جل جلاله: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً". وفي حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عندما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت للسائل: أليست تقرأ القرآن؟ قال: بلى! قالت كان خلقه القرآن، أي ما تضمنه القرآن من الفضائل الكريمة والمكارم والنهي عن أضدادها.<sup>33</sup>

### 3.5 الإجماع:

يعد الإجماع المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي، ويراد به "اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم في عصر من العصور على أمر ديني".<sup>34</sup> أي أنه الاتفاق بين طائفة من علماء الإسلام المتخصصين والمؤهلين، حول مسألة شرعية، والواقع أنه لا يمكن لعالم أن ينتهي إلى هذه الهيئة التشريعية إلا إذا اجتمعت فيه شروط الاجتهاد التي حددها أهل العلم، بأن يكون:<sup>35</sup>

- عالماً باللغة العربية وأسرارها.

- عارفاً بأسباب النزول.

- مطلعاً على تاريخ التشريع الإسلامي.

- له معرفة عميقة بالناسخ والمنسوخ.

وفي اصطلاح الأصوليين عرف بعدة تعاريف أصحابها: "اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في عصر من العصور، من بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على أمر من الأمور الشرعية. أي اتفاق علماء الإسلام ممن لهم القدرة على الاجتهاد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يشترط أن يكون هذا الاتفاق في كل العصور بل إجماع كل عصر حجة، وأن الإجماع لا ينعقد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلا كان من قبل السنة النبوية، وليس الإجماع، ويكون الإجماع أو هذا الاتفاق على كل الأمور الشرعية اللغوية والحسابية، والطبية وغيرها.<sup>36</sup>

واستدل جمهور علماء الأصول والفقهاء على أن الإجماع مصدر من مصادر التشريع الإسلامي، ومصدر من مصادر استنباط القيم في الإسلام، بعد كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله صلى الله عليه

<sup>33</sup>. إدريس العلوي العبدلاوي: المرجع السابق، ص: 220.

<sup>34</sup>. الجرجاني علي بن محمد الشريف: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1985، ص: 8.

<sup>35</sup>. محمد سليمان عبد الله الأشقر: الواضح في أصول الفقه، دار النفائس، الأردن، ط4، 1992، ص: 251.

<sup>36</sup>. عباس شومان: مصادر التشريع الإسلامي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2000، ص ص: 63-64.

وسلم بأدلة منها، قوله تعالى: "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا". (سورة النساء. الآية: 115). وقوله تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله". (سورة آل عمران. الآية: 110). ومن السنة النبوية قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تجتمع أمتي على ضلالة".<sup>37</sup>

#### 4.5 القياس:

ذهب جمهور علماء الأصول والفقهاء لقوة ما استدلووا به إلى أن القياس هو المصدر الرابع للتشريع بعد كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والعمل فيه قائم على إلحاق الفرع بالأصل في الحكم للعلة الجامعة بينهما.<sup>38</sup>

والقياس في اصطلاح الأصوليين تسوية واقعة، لم يرد نص بحكمها بواقعة ورد نص بحكمها في الحكم الذي ورد به النص لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم. أي أن هناك واقعة ثبت حكمها الشرعي بنص أو إجماع وواقعة أخرى تشابهها لم يثبت حكمها لا بنص ولا بإجماع، فتأخذ حكم الواقعة الأولى لاشتراكها في علة هذا الحكم.<sup>39</sup>

وبناء عليه فالقياس مظهر للحكم وليس مثبت له، وأن العلة هي أساس الحكم، وأن عمل المجتهد هو إظهار الحكم على الفرع بسبب اتحاد العلة بين الفرع والأصل.<sup>40</sup>

ومما سبق من تعريفات للقياس يتضح أنه يقوم على أربعة أركان هي:

- واقعة النص، أي الواقعة التي حكم فيها النص أو الإجماع وتسمى الأصل والمقيس عليه.
- الواقعة الطارئة التي لا نص في حكمها - التي لم يرد فيها نص ولا إجماع - ويراد بالقياس الوصول إلى حكمها وتسمى الفرع أو المقيس.
- حكم الأصل وهو الحكم الشرعي الذي ورد به النص في الأصل، والذي يراد تعديته إلى الفرع المنصوص عليه.

<sup>37</sup> عبد الوهاب خلاف: مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط6، 1993، ص ص: 119،

124.

<sup>38</sup> عباس شومان: المرجع السابق، ص: 73.

<sup>39</sup> عبد الوهاب خلاف: مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه، المرجع السابق، ص: 19.

<sup>40</sup> وهبة الزحيلي: أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1996، ص: 603.

- علة الحكم وهي التي بني الشارع عليها حكمه في واقعة النص، وهي ثابتة في الفرع أصلاً لكون الحكم المتنازع فيه مبنياً عليها، وقد استنبطت من محل الحكم المنصوص عليه.<sup>41</sup>

واستدل جمهور الأصوليين والفقهاء على أن القياس حجة من الأحكام الشرعية، وأنه المصدر الرابع من مصادر التشريع الإسلامي من كتاب الله عز وجل، في قوله تعالى: "فاعتبروا يا أولي الأبصار". (سورة الحشر. الآية: 2). والاعتبار يعني الانتقال من مكان إلى آخر، والقياس انتقال بحكم الأصل إلى الفرع. كما استدلو لإثبات القياس من القرآن الكريم أيضاً في قوله تعالى: "ولو رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم". (سورة النساء. الآية: 83).<sup>42</sup>

وما استدل به الجمهور من السنة على مشروعية القياس حديث معاذ بن جبل الذي رواه أحمد وأبو داود لما بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، حيث أقره عليه الصلاة والسلام على الترتيب الذي جاء به بإتباع كتاب الله تعالى، ثم سنة رسول الله، ثم الاجتهاد، وما القياس إلا نوع من أنواع الاجتهاد بالرأي، فيكون مشروعاً ودليلاً من أدلة الأحكام.<sup>43</sup>

واستدل الجمهور على حجية القياس من الإجماع، بإجماع الصحابة على مشروعية العمل بالقياس. ومن ذلك ما روى أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عارض في قتال المرتدين، وقال لأبي بكر: كيف تقاتل قوماً يقولون لا إله إلا الله، ورسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها عصم مني دمه وماله إلا بحقه وحسابه على الله". (رواه صحيح مسلم وصحيح البخاري). فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة حق المال. فعلم عمر - رضي الله عنه - أن رأي أبي بكر حق فوافقه عليه ولم ينكر عليهما أحد من الصحابة فكان إجماعاً على مشروعية القياس. والقياس هنا يتمثل في قياس أبي بكر قتال ما نعى الزكاة على قتال ما نعى الصلاة بجامع أن كلا من الصلاة والزكاة من أركان الدين.<sup>44</sup>

وفي استدلالهم بالمعقول قالوا أن في الأخذ بالقياس تحقيق لمصالح العباد، وهو مقصود الشرع فليس في مسلكه تحريم الشيء وإباحة نظيره، أو إباحة الشيء وتحريم مثيله. كما أن نصوص القرآن والسنة

<sup>41</sup>. عبد الوهاب خلاف: مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه، المرجع السابق، ص: 25.

<sup>42</sup>. عباس شومان: المرجع السابق، ص: 70.

<sup>2</sup>. عبد الوهاب خلاف: مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه، المرجع السابق، ص: 33.

<sup>3</sup>. عباس شومان: المرجع السابق، ص: 71.

<sup>4</sup>. عبد الوهاب خلاف: مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه، المرجع السابق، ص: 35.

محدودة ومتناهية ووقائع الناس غير محدودة ولا متناهية، فلا يمكن أن تكون النصوص المتناهية وحدها مصادر تشريعية لما لا يتناهى، والقياس هو المصدر التشريعي الذي يسائر الوقائع المتجددة.<sup>45</sup>

### 5.5 العرف:

يعتبر العرف الصحيح الذي لا يخالف أصلا شرعيا وليس فيه تفويت مصلحة ولا جلب مفسدة، من المصادر الأساسية في استنباط الأحكام الشرعية والقيم الإسلامية. والعرف هو ما يتعارفه الناس، ويسيرون عليه غالبا من قول أو فعل، بما فهم العامة والخاصة. ويعتبر العرف دليلا من الأدلة، التي تبنى عليها كثير من الأحكام الفقهية، ومرجعا أساسيا لاستنباط القيم، بشرط ألا يكون مخالفا للنص، وذلك بأن يكون العرف صحيحا لا فاسدا، يقول "الشيخ محمد الخضر حسين" -شيخ الأزهر سابقا في بحث كتبه بمجلة الأزهر، عنوانه "مراعاة العرف" -: "ويراعى العرف في القضاء والفتوى، وليس للفقيه أن يفتي أو يقضي بما جرى به العرف المخالف لأصل من أصول الشريعة إلا أن تدعو إلى ما جرى به العرف ضرورة فيكون الحكم مبنيا على مراعاة الضرورة ويدخل في قبيل الرخصة التي يقررها الفقيه على سبيل الاجتهاد.<sup>46</sup> أي أنه لا يصح للفقيه أن يجعل ما يجري به العرف الفاسد أمرا مشروعاً ويفتي بصحته دون أن تدعو إليه ضرورة -على وجه الاستثناء- يحسن العارف بمقاصد الشريعة تقديرها.

والعرف وإن لم يكن دليلا شرعيا مستقلا، إلا أنه يرجع إلى الأدلة التشريعية المعتبرة، تشهد له بالاعتبار، وعلى ذلك يعتبر العرف من أهم المصادر في استخلاص القيم الإسلامية، فكل ما تعارف عليه الناس مما لا يخالف قواعد الشرع وأدى إلى مصلحة عامة عد قيمة لها سلطانها على تصرفات الأفراد وسلوكهم.

وبناء عليه يتبين أن العرف ليس دليلا شرعيا مستقلا، وإنما دليل يتوصل به إلى فهم المراد من عبارات النصوص.

وقد ثبت بالبحث والاستقراء أن علماء الشريعة في كثير من الأحكام المبنية على العرف راعوا أعراف الناس وعاداتهم، من خلال ما ورد في كتبهم من العبارات ما يدل على اعتبار العرف دليلا لاستنباط

<sup>1</sup>. نفس المرجع، ص ص: 145، 147.

<sup>46</sup>. عبيد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1990، ص: 91.

الأحكام، لذلك نجد قولهم "المشروط عرفاً كالمشروط شرعاً"، "الثابت بالعرف كالثابت بالنص"، "التعيين بالعرف كالتعيين بالنص".<sup>47</sup>

### 6.5 المصلحة المرسلة:

قامت الأحكام والقيم في الشريعة الإسلامية قصد تحقيق مصالح الناس بدفع الضرر عنهم وجلب النفع لهم، وبما أن المصالح لا متناهية لأن حياة الناس في تجدد وتطور مستمرين، جاء ما يعرف في اصطلاح الأصوليين بالمصلحة المرسلة أو الاستصلاح.

قال "أبو إسحاق الشاطبي" الفقيه المالكي: "إن الشريعة إنما وضعت لمصالح العباد، علم ذلك بالاستقراء والتعاليل لتفاصيل الأحكام من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى، كقوله تعالى بعد آية الوضوء: "ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم". (سورة المائدة. الآية: 6). وقال "محمد بن أبي بكر" المعروف بـ "ابن القيم": "إن الشريعة الباهرة مبناها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها".<sup>48</sup>

وقد عرفها البوطي بقوله: "هي كل منفعة داخلية في مقاصد الشارع دون أن يكون لها أو لجنسها القريب شاهد بالاعتبار أو الإلغاء".<sup>49</sup> "أي هي التي لم يقم دليل من الشارع على اعتبارها أو إلغائها، وليس لها نظير ورد فيه نص لتقاس عليه".<sup>50</sup>

وقد أطلق علماء الشريعة على المصلحة المرسلة تسميات مختلفة، فمن نظر إلى جانب المصلحة المترتبة عليها سماها المصالح المرسلة، ومن نظر إلى جانب الوصف المناسب الذي يستوجب ترتيب الحكم عليه تحقيق تلك المصلحة سماها بالمناسب المرسل، ومن نظر إلى جانب بناء الحكم على الوصف المناسب أو المصلحة أي المعنى الصدري عبر عنها بالاستصلاح أو الاستدلال.<sup>51</sup>

وتعتبر المصلحة المرسلة مصدراً من مصادر القيم، إذا توافرت على الشروط الآتية:<sup>52</sup>

<sup>47</sup>. زكية منزل غرابية: المرجع السابق، ص: 93.

<sup>48</sup>. عبد الوهاب خلاف: مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه، المرجع السابق، ص: 93.

<sup>49</sup>. محمد سعيد رمضان البوطي: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، الدار المتحدة للطباعة والنشر، سوريا، د.ت، ص: 288.

<sup>50</sup>. عبد اله بن يوسف الجديع: تيسير أصول الفقه، مؤسسة الريان، بيروت، ط2، 2000، ص: 199.

<sup>51</sup>. محمد سعيد رمضان البوطي: المرجع السابق، ص: 284.

<sup>52</sup>. عبيد الوهاب خلاف: مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه، المرجع السابق، ص: 99-110.

- أن يثبت بالبحث وإمعان النظر والاستقراء أنها مصلحة حقيقية لا وهمية، أي أن بناء الحكم عليها يجلب نفعاً أو يدفع ضرراً.
- أن تكون هذه المصلحة الحقيقية العامة لا يعارض التشريع لها نصاً ولا إجماعاً.
- أن تكون هذه المصلحة الحقيقية عامة، أي ليست مصلحة شخصية أي أن بناء الحكم عليها يجلب نفعاً لأكثر الناس، أو يدفع ضرراً عن أكثرهم.

## 6. خصائص القيم:

### 1.6 خصائص القيم في التصور الغربي:

كانت القيم مثلاً علياً، ولكن تحولت النظرة إليها فأصبحت حاجات تفرزها أوضاع الحياة الاجتماعية، وتطورت النظرة إلى القيم من التجريد إلى الواقعية، فصارت القيم استشفافاً من خلال احتكاكات القانون بالحقيقة الاجتماعية، فتطور النظر إلى القيم عما اتصفت به في الماضي بأنها تطلعات ميتافيزيقية ومعاني يحكم بها على المسالك والأشياء تبعاً لجدواها أو عدم جدواها في إشباع غايات إنسانية.<sup>53</sup> وللقيم خصائص متعددة ومتنوعة، من أهمها:

**1.1.6 النسبية:** القيم لا تتمتع بالثبات بل متغيرة وفقاً لمزاج الإنسان وللزمان والمكان الذي يعيش فيه، ودائماً في نفس السياق، وفي تأكيدهم لنسبية القيم يرون أن الثقافة والنظم المجتمعية هي أساس القيم.<sup>54</sup>

**2.1.6 التدرج:** إن هناك سلماً للقيم بحيث ترتب فيما بينها ترتيباً هرمياً، فتهيمن بعض القيم على بعض أو تخضع لها، مما يعني أن القيم على مراتب ودرجات، وأنها ليست على مستوى واحد، فهذا الترتيب الهرمي ليس جامداً بل متحركاً ومتفاعلاً، تبعاً لظروف الفرد ورغباته واهتماماته، من حيث قوتها وإلحاحها وسهولة أو صعوبة تحقيقها. وكذلك تبعاً لتطوره الجسدي والعقلي والاجتماعي.<sup>55</sup>

**3.1.6 القيم ذاتية:** ويقصد بذاتية القيم أنها تتعلق بالطبيعة الإنسانية والسيكولوجية للإنسان، التي تشمل الرغبات والميول والعواطف وغيرها من عوامل نفسية، فالقيمة باعتبارها أحكاماً تصدرها على

<sup>53</sup>. إسماعيل عبد الفتاح: المرجع السابق، ص: 19.

<sup>54</sup>. أحمد مصطفى خاطر: الخدمة الاجتماعية وتنمية المجتمع الريفي، دار المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص: 115.

<sup>55</sup>. مساعد بن عبد الله المحيا: المرجع السابق، ص: 52.

الأشياء تتضمن معاني كثيرة مثل الاهتمام والاعتقاد والرغبة، وكل هذه المعاني تعبر عن عناصر شخصية ذاتية.<sup>56</sup>

**4.1.6 الثبات النسبي:** تتميز القيم في التصور الغربي بالتغير، وتختلف من مجتمع لآخر، "وتمثل المثل التي تؤمن بها جماعة معينة، وتنسب إليها، وتختص كذلك بفترة زمنية معينة"<sup>57</sup>. فكون القيم مصدرها العقل الإنساني أو الضمير الجمعي، فإنها تكون نافعة في زمن معين، وإذا ما تغيرت الظروف أصبح إتباع هذه القيم غير مفيد فتتغير حينئذ.

**5.1.6 القيم مثالية:** لأنها ليست شيئاً بأي حال من الأحوال، وإن كانت الأشياء هي التي تحملها، وفي نظر "غاستون برجر" أن الأشياء تستدعي اهتماماتنا، بما فيها من قيمة لا ترتبط بها، بل تنحل وتنتظم وترجم من جديد وبكيفية أخرى حينما تتبدل قيمتها.<sup>58</sup>

**6.1.6 تعدد مصادرها:** تتعدد مصادر القيم في الفكر الغربي على اختلاف مشارب الباحثين وتخصصاتهم، فنجد محاولات تعتبر القيمة من إنتاج الإنسان باعتباره فرداً أو جماعة، ولا تعتبرها كيانات مستقلة بذاته، حيث أن "دوركايم" يعتبرها من مقتضيات الوعي الاجتماعي، و"ماركس" يراها من إنتاج البنية الاقتصادية، والنفساني "فرويد" يراها من إسقاطات الغريزة الجنسية، فلا وجود للقيمة إلا بفضل المصدر الذي تنبثق منه، والمراد به الإنسان في الفرويدية والمجتمع في الماركسية والدوركايمية. وهناك من يؤمن بمطلقية القيم واستقلالها عن الواقع الطبيعي والأشخاص ويستنكر نسبيتها، فالواقع البشري بقصوره وضعفه الفطري لا يمكنه أن يصنع قيماً لحياته كلها، لأنه لا يدرك لوحده مركزه في الكون وغاية وجوده وحقيقته.<sup>59</sup>

## 2.6 خصائص القيم في التصور الإسلامي:

يعتبر الدين الإسلامي ممثلاً في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، واجتهادات العلماء المستمدة من هذين المنطلقين، مصدراً أساسياً من مصادر القيم بما تحمله من قواعد ومبادئ وخصائص عامة صالحة في كل زمان ومكان، والتي تسهم في بناء مجتمع تسوده مجموعة من القيم والمثل العليا والأخلاق

<sup>56</sup>. إسماعيل عبد الفتاح: المرجع السابق، ص: 20.

<sup>57</sup>. Guy. Rocher: Talcott- Parsons et La Sociologie Américaine, Les Presses universitaires de France, Paris, 1972, p: 92.

<sup>58</sup>. الربيع ميمون: نظرية القيم في الفكر المعاصر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص: 33.

<sup>59</sup>. لعمور وردة: المرجع السابق، ص: 38.

الفاضلة، يلتقي في البناء القيمي للمسلم مع البناء القيمي للمجتمع المسلم، فتتسق الحياة الفردية مع الحياة الاجتماعية للمجتمع.

تتميز القيم في الإسلام بأنها قيم متكاملة شاملة واضحة، تتناسب وتتلاءم مع الطبيعة البشرية، تساهم في تحقيق تكامل الفرد واتزان سلوكه، من خلال الخصائص الآتية:

**1.2.6 القيم في الإسلام مصدرها الوحي الرباني:** وهي الخاصية الكبرى والجوهرية، وذلك برد القيم كلها إلى الله، متعالية بذلك عن كل التصورات الفلسفية والإيديولوجية المتناقضة حول حقيقة الإنسان والكون والعلاقات القائمة بين هذه الحقائق، وهي من تصور رباني صادر عن الله للإنسان، وليست الكينونة الإنسانية هي التي تنشئه كما تنشئ التصور الوثني، وعمل الإنسان فيه هو تلقيه وإدراكه والتكيف به وتطبيق مقتضياته في الحياة البشرية.<sup>60</sup>

**2.2.6 القيم في الإسلام شاملة ومتكاملة:** تتميز القيم الإسلامية بأنها شاملة لأنها لا تقتصر على جانب واحد من شخصية الإنسان، وإنما هي تنظر إلى الإنسان نظرة تشمل جميع جوانبه الجسمية والفكرية والاجتماعية.<sup>61</sup> كما أن القيم الإسلامية تترابط فيما بينها، وكأن كلا منها يفضي إلى الآخر أو يتأسس عليه، فقيم الإسلام في العقيدة والشريعة والأخلاق قيم متكاملة، تتوحد ضمن منظور معرفي واعتقادي وأخلاقي لا يقبل التفكيك والتجزئة والانتقاء.<sup>62</sup> ومنه فمجموع القيم تشكل نسقا قيميا موحدا متكاملا ومنسجم الأجزاء لا يسوده التناقض والتضاد، لأنه منبثق من إرادة واحدة مطلقة لا يشوبها الضعف والنزوات، هي الإرادة الإلهية.

**3.2.6 القيم في الإسلام إلزامية:** يعتبر الأفراد ملزمون بالخضوع لمنظومة القيم الإسلامية، التي تستمد إلزامها بما يترتب على عدم الالتزام من الجزاء الآخروي، وهكذا يحسم القرآن الكريم في شأن السلوك الإنساني على أساس تلك القيم، إلا أن ذلك يكون حسب قدرات الأفراد وقابليتهم للالتزام بها. لذلك يراعي الدين الإسلامي في إلزامية القيم ما يأتي:

- إمكانية التطبيق: قال تعالى: "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها". (سورة البقرة. الآية: 286).

<sup>60</sup>. سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، بيروت، د.ت، ص: 52.

<sup>61</sup>. علي أحمد الجمل: المرجع السابق، ص: 25.

<sup>62</sup>. إدريس العلوي العبدلاوي: المرجع السابق، ص: 218.

- اليسر العملي ورفع الحرج: ويتجلى ذلك في قوله تعالى: "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر". (سورة البقرة. الآية: 185). فالقيم الإسلامية في هذا الجانب التزام بأحكام الدين كما أرادها الله، تخضع لمنهج اليسر ورفع الحرج الذي تبينت معاملة من خلال المنهج النبوي، ولا يعني هذا اليسر تجاوز حدود الله.<sup>63</sup>

**4.2.6 القيم في الإسلام تتميز بالتوازن والوسطية:** جعل الإسلام كمال الإنسان في تكامل قيمه من حيث هو نفس، وروح، وجسد.<sup>64</sup> وبذلك اتصفت القيم في الإسلام بالتوازن في الجمع بين الدنيا والآخرة. كما تتميز القيم التي حث الله سبحانه وتعالى عباده على التمسك بها بالوسطية بين متطلبات الدنيا والآخرة، بين الفرد والجماعة، وبين قيم الروح وقيم المادة، بشكل لا يطغى فيها طرف على آخر، لا إفراط فيها ولا تفريط، لذا جاءت كلها بمستوى قدرات الإنسان وإمكانياته.<sup>65</sup> يقول تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا". (سورة البقرة. الآية: 143).

**5.2.6 القيم في الإسلام قائمة على الدافع الداخلي للإنسان (النية):** تربي القيم الإسلامية الوازع الداخلي في الإنسان من غير رقابة خارجية، يقول تعالى: "وهو معكم أين ما كنتم". (سورة الحديد. الآية: 4). فالمسلم يوقن أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية، وإذا كان العبد لا يرى الله تعالى فإن الله يراه.<sup>66</sup> وهذا ما يجعل المسلم حريصا على أن تكون جميع تصرفاته وفق مقصد الشارع الحكيم، على خلاف التصور الغربي الذي يرى أن للمجتمع أو العقل سلطة الرقيب على تصرفات الأفراد وسلوكياتهم. وتعتبر النية في الإسلام هي الأساس في الحكم على الأعمال.

**6.2.6 القيم في الإسلام تتميز بالثبات والمرونة:** إن من أجلى مظاهر التوازن والوسطية التي عرفت في الإسلام بالعدل، والتي يتميز بها نظام القيم الإسلامية، التوازن بين الثبات والتطور، الثبات والمرونة والحركة، فمن خاصية الثبات تنشأ خاصية أخرى هي خاصية الحركة داخل إطار ثابت أو حول محور ثابت، بمعنى أن هناك ثبات في مقومات هذا التصور الأساسية وقيمه الذاتية، فهي لا تتغير ولا تتطور، وحينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العملية، فهذا التغير في ظواهر الحياة، وأشكال الأوضاع، يظل محكوماً بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور، ولا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر والحياة، ولكنه

<sup>63</sup>. عمر سليمان الأشقر: خصائص الشريعة الإسلامية، دار النفائس، الأردن، ط3، 1991، ص: 70.

<sup>64</sup>. طه ياسين الخطيب: المرجع السابق، ص: 131.

<sup>65</sup>. علي أحمد الجمل: المرجع السابق، ص: 26.

<sup>66</sup>. طه ياسين الخطيب: المرجع السابق، ص: 131.

يقتضي السماح لها بالحركة، بل ودفعها إلى الحركة، ولكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت. وقيمة وجود تصور ثابت للمقومات والقيم، هو أن الثابت الذي يرجع إليه الإنسان بكل ما يعرض له من مشاعر وأفكار وتصورات، وبكل ما يجد في حياته من ملابسات وظروف وارتباطات، فيزنها بهذا الميزان الثابت ليرى قربها أو بعدها من الحق أو الصواب. وإذا لم يكن هذا المقوم الضابط ثابتا فكيف ينضبط به شيء إطلاقاً.<sup>67</sup>

7.2.6 تمحور القيم في الإسلام حول الكليات الخمس: تتمحور القيم في الإسلام حول الكليات الخمس (النفس، العقل، المال، النسل، الدين)، وما يتعلق بها من حاجيات وتحسينات، وأنها تتحرك في إطار العقيدة أي في إطار التصور الشمولي الذي يمنحه الإسلام للإنسان، فهو الذي يحفز تلك القيم ويمنحها قوة الدفع".<sup>68</sup>

#### خاتمة:

اهتم الكثير من الباحثين والمفكرين على اختلاف انتماءاتهم العلمية والفكرية بموضوع القيم، لأنها تتصل بكل مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والأخلاقية والجمالية للأفراد والجماعات، وبذلك تعددت بشأنها الآراء واختلفت في تحديد طبيعتها ومدلولها. وترجع أهمية القيم إلى كونها تمثل الضابط والمعياري الأساسي للسلوك الفردي والاجتماعي، الذي يحتوي على قواعد ومقاييس تتم من خلالها عملية الاختيار والانتقاء بين بدائل الفعل المختلفة في المواقف الاجتماعية، ونظراً لأهمية القيم في تهيئة وإعداد الفرد في جميع مراحل حياته، حتى يصبح مؤهلاً لأن يشارك في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لمجتمعه، فإن إكسابها وتنميتها يتطلب مشاركة كل المؤسسات الاجتماعية المختلفة، للمساهمة في بناء نسق سياسي اجتماعي متوافق ومتكامل، من الأسرة إلى المؤسسات التعليمية وجماعات الرفاق والأحزاب السياسية والمؤسسات الدينية ومنظمات المجتمع المدني، إضافة إلى وسائل الإعلام، ما يتطلب تسانداً وظيفياً بينها من أجل التأثير العميق على اتجاهات أفراد المجتمع، ووعيمهم ومواقفهم وسلوكهم لتحقيق التنمية الشاملة.

<sup>67</sup>. سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل: العلاقات الدولية في الإسلام، الجزء الثاني (مدخل القيم في إطار مرجعي لدراسة العلاقات الدولية في

الإسلام)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1999، ص: 67.

<sup>68</sup>. عبد المجيد بن مسعود: المرجع السابق، ص: 76.

## المراجع:

1. بشير معمريّة: التغير في ارتقاء القيم لدى مجموعات عمرية مختلفة من الجنسين، مجلة العلوم الإنسانية، مجلة علمية نصف سنوية، جامعة منتوري، قسنطينة، ع 15، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، جوان 2001،
2. ابن الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الجزء الثاني، (د.ت)، ص: 500.
3. إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، دار المعارف، القاهرة، الجزء الثاني، 1973،
4. ماجد زكي الجلال: تعلم القيم وتعليمها، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005،
5. يوسف المعلوف وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط 27، 1984،
6. سعود هلال الحربي: التربية والقيم السياسية، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط 1، 2002،
7. زكية منزل غرابية: القيم الثقافية في الدراما المقدمة في قناة اقرأ وأثرها على الشباب الجامعي (دراسة تحليلية و ميدانية)، رسالة دكتوراه غير منشورة في الإعلام الإسلامي، إشراف: بوعلي نصير، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009-2010،
8. جابر قميحة: المدخل إلى القيم الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 1، 1984،
9. طه ياسين الخطيب: القيم التربوية في موعظة لقمان لابنه، مجلة العلوم التربوية والنفسية، مجلة علمية محكمة فصلية، مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع، مملكة البحرين، المجلد 4، العدد 1، مارس 2003،
10. وضحة السويدي: تنمية القيم الخاصة بمادة التربية الإسلامية لدى تلميذات المرحلة الإعدادية بدولة قطر (برنامج مقترح)، دار الثقافة، قطر، ط 1، 1989،
11. إدريس العلوي العبدلاوي: مفهوم القيم في الإسلام ومدى اعتمادها كمصدر من مصادر التشريع، مجلة الأكاديمية، سلسلة الدورات، الدورة الربيعية لسنة 2001 (أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر)، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 2002،
12. محمد أحمد بيومي: المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989،
13. محمد أحمد محمد بيومي: علم اجتماع القيم، 2002،
14. محمد أحمد بيومي: علم اجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 1، 1981،
15. عبد المجيد بن مسعود: القيم الإسلامية التربوية والمجتمع المعاصر، كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، العدد 67، ط 1، ديسمبر 1998،

16. قميحة جابر: المدخل إلى القيم الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1984.
17. علي حسين الدوري: أثر الفضائيات على القيم التربوية والثقافية العربية الإسلامية، منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، بحوث أوراق عمل الملتقى العربي الأول (أثر الفضائيات على الأسرة العربية)، مصر، 2007.
18. سيد أحمد طهطاوي: القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996.
19. محمد التومي: المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.
20. عبد الكريم زيدان: مجموعة بحوث فقهية، مكتبة القدس، بغداد، 1986.
21. الجرجاني علي بن محمد الشريف: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1985.
22. محمد سليمان عبد الله الأشقر: الواضح في أصول الفقه، دار النفائس، الأردن، ط4، 1992.
23. عباس شومان: مصادر التشريع الإسلامي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2000.
24. عبد الوهاب خلاف: مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط6، 1993.
25. وهبة الزحيلي: أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1996.
26. عبيد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1990.
27. محمد سعيد رمضان البوطي: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، الدار المتحدة للطباعة والنشر، سوريا، د.ت.
28. عبد اله بن يوسف الجديع: تيسير أصول الفقه، مؤسسة الريان، بيروت، ط2، 2000.
29. أحمد مصطفى خاطر: الخدمة الاجتماعية وتنمية المجتمع الريفي، دار المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص: 115.
30. الربيع ميمون: نظرية القيم في الفكر المعاصر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص: 33.
31. سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، بيروت، د.ت، ص: 52.
32. عمر سليمان الأشقر: خصائص الشريعة الإسلامية، دار النفائس، الأردن، ط3، 1991، ص: 70.
33. سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل: العلاقات الدولية في الإسلام، الجزء الثاني (مدخل القيم في إطار مرجعي لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1999.
34. Rocher: Talcott- Parsons et La Sociologie Américaine, Les Presses universitaires de France, Paris, . Guy 1972, p: 92.